

المحاضرة الثالثة

مراحل تطور حركة حقوق الإنسان عبر العصور

تربط فكرة حقوق الإنسان بيزوغ فكرة الدولة والقانون الذي ينظم العلاقات بين أفراد المجتمع ، فمنذ إن بدء البشر بتكوين المجتمعات والعيش بمجموعات ، اتجهت أنظارهم إلى تنظيم نوع من العلاقات فيما بينهم ، بما يحفظ حقوقهم باتجاه بعضهم البعض الآخر ، بعد إن كان المجتمع مبني على قاعدة (الحق بالقوة) ، إذ إن الحقوق كانت مستباحة وحقوق الإنسان كانت مفقودة ، ولم تكن هنالك حرية شخصية أو حق التملك أو العمل ، كان الرق منتشرأ بشكل كبير ومألوف وطبيعي في الوقت نفسه ، وكان الشعب مستعبداً بشكل كبير ، والأقوى هو من يتمتع بكافة الحقوق وقد تبدل ذلك تدريجاً .

بعد إن توصل الإنسان إلى التنظيمات البدائية الأولية ، والمتمثلة بالتنظيم الأبوي والقبلي ، وصولاً إلى تكوين الدولة بمفهومها الحديث والتي تعرف بأنها (مجموعات من الناس تعيش ضمن نطاق جغرافي محدد، خاضعة لنظام سياسي يتولى إدارة شؤونهم) وقد بذل الأفراد في تلك العصور جهوداً كبيرة لتنظيم العلاقة فيما بينهم ، حتى توصل التطور الإنساني في هذا المجال إلى قوننة تلك الحقوق ، بشكل يحدد من تجاوزات الأفراد ، كما يحد من تسيد علاقات الغاب بين الناس ، وما يتعرض له بعضهم من انتهاكات لحقوقهم الطبيعية والسياسية ، فقد ابتدأ تقنين تلك الحقوق من خلال العرف والعادة التي قرت بعضاً من الحقوق الأولية ومنها حق الحياة وحق التملك المحدود وحق الاتجار المحدود وحق التزاوج وحق التقاضي إمام رئيس القبيلة أو احد حكامها ، لكن هذا كان بشكل بسيط أو فطري وهذه كانت أولى بوادر حقوق الإنسان في الحضارات القديمة والتي سبقت القرن الخامس الميلادي .

وعليه فان حركة حقوق الإنسان مرت بمراحل عديدة بدأ من الحضارات القديمة وظهور الأديان السماوية ، وحتى صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، ويمكن القول إن المراحل التي مرت بها حركة حقوق الإنسان متداخلة بعض الشيء ، لكن يبقى لكل منها طابعه الخاص ، وهي كالآتي :

١- المرحلة الفطرية :

وهي المرحلة التي بدئت مع الإنسان الأول ، الذي كان يتصرف ويتفاعل مع كل ما يحيط به بفطرته التي فطره الله عليها ، وفي هذه المرحلة كانت الحقوق التي اكتشفها الإنسان هي الحقوق الطبيعية فعرف الإنسان حقه في الحياة وحقه في المأكل والملبس وما يحيط به من ثروات ، وعرف حقه في الدفاع عن نفسه ضد من يعتدي عليه ، لكنه لم يستطيع ان يحافظ على هذه الحقوق الا اذا كان لديه قوة جسمانية لذلك ، ومن هنا فيصل المحافظة على الحقوق في هذه المرحلة هي القوة .

٢- المرحلة الجاهلية

في هذه المرحلة اكتشف الإنسان حقوق كثيرة ، مثل حق التملك فملك مساحة من الأرض التي عاش عليها ، وملك الحيوانات التي استأنسها ، وملك الزوجة والأولاد والآلات التي صنعها ، وكان الفيصل في هذه المرحلة للحفاظ على الحقوق القوة أيضا ، لكن ليس القوة الفردية ، وإنما قوة الأسرة والمجتمع ، ومع استمرار سلطان القوة بدئت اعتداءات الأسر القوية على الأسر الضعيفة ، لذا برزت الحاجة إلى ترابط الأسر الضعيفة للدفاع عن حقوقها ، وانتقل مبدأ الحق بالقوة مرة أخرى إلى مستوى جديد وهو مستوى القبيلة ، وتعمقت هذه النزعة القبلية ، وبدئت الجاهلية تنفشى في هذه العصور بإشكال وصور مختلفة .

٣- المرحلة التشريعية

وهذه تعتبر بداية مرحلة التحضر ، حيث ظهرت الدول المستقلة وواجهت الشعوب حكامها ، وطالب بإزالة الفوارق وتحقيق المساواة ورفع الظلم ، وقد بدء كل المجتمع بتدوين الأعراف وصياغتها في قوانين بدائية ، أمثلتها (قانون حمورابي) ملك بابل وقوانين سولون الإغريقي ، وقانون الألواح الأثني عشر الروماني ، وتعتبر هذه القوانين وضعية وتعاني من قصور في نواحي عديدة ، وقد تطورت مع تطور الدول وتطور احتياجاتها ، ولكن هذا التطور دائما في ظل إطار العلاقة بين الدولة والمواطنين ، ولم يتعد ذلك على جوهر الحقوق الإنسانية المتكاملة للإنسان ، واقتصر الأمر خلال هذه المرحلة على تأكيد بعض الحقوق السياسية مثل الديمقراطية والحرية والمساواة ، وبعض الحقوق الاجتماعية مثل حق العمل والتملك

وحق التقاضي ، وقد تأثرت هذه القوانين في جملتها بما واكبها من ديانات
وشرائع سماوية .

٤- المرحلة العالمية

مع التقدم والتطور البشري ، ثم التطور العلمي والعالمي في وسائل
المواصلات والاتصال ، اتسمت حقوق الإنسان بالعالمية تدريجياً ، واتخذ
الدفاع عنها شكلاً جماعياً وعقدت لذلك المؤتمرات والندوات وصدرت
المواثيق الدولية والإعلانات والمعاهدات كالإعلان الذي تبنته الأمم المتحدة
في ١٩٤٨ ميلادية في قصر شايبو في باريس والذي يتحدث عن رأي الأمم
المتحدة عن حقوق الإنسان المحمية لدى كل إنسان .